الباب الحادي والأربعين: في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

الطبقة الأولى الذين أدركوا الجاهلية والإسلام: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم رسول الله ﷺ أسد الله، وأسد رسوله ﷺ قتل في غزاة أحد، رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله. وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع. وعظم قتله على النبي ﷺ ونذر أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش، وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه، آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ، ومؤيد بالتأييد الإلهي، كاشف الكروب ومجليها[1]، ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها، وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية[2]، ولا خلاف. روي عنه رضي الله عنه أنه قال: والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موتة على فراش. وقال بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أوصى بعضنا على بعض. وقال رضي الله عنه لمعاوية: قد دعوت الناس إلى الحرب فدعِ الناس جانباً واخرج إليّ ليعلم أينا المران[3] على قلبه، والمغطى على بصره، وأنا أبو الحسن قاتل جدك، وخالك وأخيك شدخاً[4] يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوّي. وقيل له كرم الله وجهه. إذا جالت الخيل، فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني. وقيل له: كيف كنت تقتل الأبطال؟ قال: لأني كنت ألقى الرجل فأقدر أني أقتله، ويقدر هو أني قتلته، فأكون أنا ونفسه عوناً عليه. وقال مصعب بن الزبير: كان علي رضي الله عنه حذراً في الحروب، شديد الروغان، لا يكاد أحد يتمكن منه، وكان درعه صدراً لا ظهر لها. فقيل له: أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك؟ فقال: إذا مكنت عدوّي من ظهري[5] فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ. قتله عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه، غدره وهو في صلاة الصبح. وسبب ذلك أن عبد الرحمٰن بن ملجم لعنة الله تعالى عليه مكررة تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له: لا أقنع إلا بصداق أُسمّيه، وهو ثلاثة آلاف درهم، وعبد وأمة، وأن تقتل علي بن أبي طالب. فقال لها: لك ما سألت، إلا علي بن أبي طالب وكيف لي به؟ قالت: تغتاله فإن سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وإن أصبت دخلت الجنة فقال:

ثـــلاثـــة آلاف وعبـــد وقينـــة وضـــربٌ علـــي بـــالحســـامِ المخـــذمِ[6]

---

(١) مجليها: مظهرها.
(٢) مرية: جدال أو نقاش.
(٣) المران: المغطى.
(٤) شدخاً: كسراً بعنف.
(٥) ظهري: كناية عن الحرب.
(٦) المخذم: القاطع.

فـلا مهـرَ أغلـى مـن علـيٍّ وإن عـلا ولا فيـك إلا دون فَتْـكِ ابـن ملجـمِ

وقيل: إنه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس[1] وذلك في التاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين. كفن ضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة، مما يلي كندة من أبواب المسجد. قالوا: ولما ضربه ابن ملجم، لعنه له، ثار الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر رضي الله عنهم فاحتضنوه، وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد مطلب فأخذه فأومأ عليّ رضي الله عنه إلى المغيرة أن صلِّ بالناس. فصلى بهم الفجر. وأقبلت همدان فدخلوا على ليّ فقالوا: يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى. فقال: لا تفعلوا إنما النفس بالنفس. قال: ثم إن حسن رضي الله عنه صلى الفجر، وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال: الحمد لله على ما أحببنا كرهنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وإني أحتسب عند الله عز جل مصابي بأفضل الآباء رسول الله القائل ﷺ: «مَنْ أصيب بمصيبة فليتسلَّ بمصيبته فيّ فإنها أعظم المصائب». والله ذي لا إله إلا هو، الذي أنزل على عبده الفرقان، لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله ﷺ. لا يدركه الآخرون. فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد ﷺ. فوالله لا أقول اليوم إلا حقاً لقد خلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد، والشجر والدواب. ولقد قبض في الليل التي رفع فيها عيسى ابن مريم ليهما السلام إلى السماء، وقبض فيها موسى بن عمران، ويوشع بن نون عليهما السلام. وأنزل فيها القرآن على حمد ﷺ. ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه في السرية، ويسير جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى تح الله عز وجل على يديه. وما ترك صفراء، ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ألا إن أمور له تعالى تجري على أحوالها، فما أحسنها من الله، وأسوأها من أنفسكم، ألا إن قريشاً أعطت أزمتها شياطينها، نادتها بأعنتها إلى النار. فمنهم مَنْ قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليهم. ومنهم مَنْ أسرَّ الضغينة حتى جد على النفاق أعواناً رفع الكتاب وجف القلم. وأمور تقضي في كتاب قد خلا. ثم أطرق الحسن. فبكى الناس كاءً شديداً ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعاً شعره على أذنيه، حتى قام بين يديه. فقال: يا سن إني ما عاهدت الله تعالى على عهد قط إلا وفيت به؛ عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته. فإن تخلني تل معاوية. فإن أنا قتلته أضع يدي على يدك. وأن أقتل فهو الذي تريد. فقال الحسن رضي الله عنه: أما والله لا سبيل إلى بقائك، ثم قال إليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده، ثم أسرع السيف فيه فقتله.

ومن الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخذومي رضي الله عنه، سيف الله، وسيف رسوله ﷺ بطل مذكور، فارس مشهور، في الجاهلية والإسلام. قتل مالك بن نويرة، وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله. وكان الفتح لخالد يوم يمامة، وهو الذي فتح دمشق وأكثر بلاد الشام، وله وقائع عظيمة في الروم أيّد الله بها الإسلام، مات على فراشه. كان يقول: لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع شبر، إلا وفيه أثر من طعنة، أو ضربة، أو رمية، وها أموت على فراشي، لا نامت عين الجبان، وكان ينشد ويرتجز ويقول رضي الله عنه:

لا تـرعبـونـا بـالسيـوفِ المبـرَقـه إن السهـامَ بـالـردى مفـوّقَـه[2]

---

[1] الغلس: ظلمة آخر الليل.

[2] مفوّقه: أكثر علوّاً في هذا المجال.

والحـــربُ دونهـــا العقـــالُ مطلقَـــهْ وخـــالـــدٌ مـــن دينِـــهِ علـــى ثقَـــه

الزبير بن العوام رضي الله عنه حواريّ رسول الله ﷺ، وابن عمته، بطل شجاع لا يمارى، وشهم لا يجارى، قتله عمرو بن جرموز، اغتاله وهو في الصلاة. عمرو بن معدي كرب الزبيدي، فارس من فرسان الجاهلية، وله مواقف مذكورة، ومواطن مشهورة، وأسلم ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام وشهد حروب الفرس، وكان له فيها أفعال عظيمة، وأحوال جسيمة. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه قال الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً. روي عنه رضي الله عنه أنه سأل يوماً فقال له: يا عمرو أي السلاح أفضل في الحرب؟ قال: فعن أيها تسأل. قال: ما تقول في السهام؟ قال: منها ما يخطىء ويصيب. قال: فما تقول في الرمح؟ قال: أخوك ربما خانك، قال: فما تقول في الترس؟ قال: هو الدائرة، وعليه تدور الدوائر. قال: فما تقول في السيف؟ قال: ذلك العدة عن الشدة. وقيل: أنه نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه: أنني عابر على هذا الجسر، فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور، وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي، وقد عرفني القوم، وأنا قائم بينهم، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم، ثم انغمس فحمل على القوم. فقال بعضهم لبعض: يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم، والله ما نظن إنكم تدركونه حي فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه. وقد أخذ برجل فرس رجلاً من العجم، فأمسكها الفارس يضرب فرسه، فلم تقدر أن تتحرك، فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه، وخلّى فرسه فركبه عمرو. وقال: أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني، فقالوا: أين فرسك؟ فقال: رمي بنشابة فغار، وشب فصرعني[1]. ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم، وهو الذي كان قدّمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين، فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل، فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم، وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار. فقتل رستم وانهزمت العجم. وقتل عمرو بنهاوند في وقعة الفرس بعد أن عمّر حتى ضعف، وكان من الشعراء المعدودين. وفيه يقول العباس بن مرداس:

إذا مـــات عمـــرو قلـــت للخيـــل اوطئـــي زبيـــداً فقـــد أودى بنجـــدتهـــا عمـــرو[2]

ومنهم طلحة الأسدي رضي الله عنه، كان من أكبر الشجعان جاهلية وإسلاماً، ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعاً عظيم ففل[3] خالد بن الوليد جمعه. وكان يتكهن، ثم عاد إلى الإسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح. المقداد بن الأسود رضي الله عنه، كان من أشجع الفرسان، شديد البأس، قوي الجنان، رابط الجأش، وله في الشجعان اسم مشهور، ووصف مذكور، يعجز الواصف عن وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه. سعد بن أبي وقاص الزهري الأنصاري رضي الله عنه، كان فارساً بطلاً رامياً، وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم. ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده، ومات حتف أنفه. أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه، الذي خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام: «إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع». المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه، هو أوّل من فتح حرب الفرس. أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه، قاتل القوم يوم قس الناطف

(١) صرعني: أوقعني.
(٢) بنجدتها عمرو: أي ذهاب مجد هذه البلدة بذهاب بطلها هذا.
(٣) فلّ جمعهم: فرقهم وانتصر عليهم.

في حرب القادسية. عمار بن ياسر رضي الله عنه، صاحب رسول الله والذي قال فيه رسول الله: «الحق يدور مع عمار حيث دار»، وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية، فقتل بصفين وكان مع علي رضي الله عنه. هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكابر الشجعان، صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين. مالك بن الحرث النخعي الأشتر رضي الله عنه، مات مسموماً في شربة من عسل. فقال معاوية: إن لله جنوداً منها العسل. القعقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنه.

الطبقة الثانية: عبد اللَّه بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرجير ملك أفريقية الذي كان يرى أنه أشجع أهل عصره. قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة: صف لي عبد اللَّه بن الزبير. فقال: والله ما رأيت جلداً قط ركب على لحم، ولا لحماً على عصب، ولا عصباً على عظم، مثل جلده، ولحمه، وعصبه. ولا رأيت نفساً بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه، ولقد قام يوماً إلى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره، ولا قطع له قراءته، ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع. قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة، وأسلمه أصحابه وعشيرته، وصلبه الحجاج، ألا إلى الله تصير الأمور. أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضي الله عنه، كان أبوه يلقيه في الوقائع، ويتقي به العظائم، وهو شديد البأس، ثابت الجنان. قيل له يوماً: ما بال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقحمك الحروب، دون الحسن والحسين رضي الله عنهما؟ فقال: لأنهما كانا عينيه، وكنت أنا يديه، فكان يتقي عينيه بيديه. وقيل إن أباه علياً رضي الله عنه اشترى درعاً فاستطالها فأراد أن يقطع منها. فقال له محمد: يا أبت علّم موضع القطع، فعلّم على موضع منها، فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها، وبالأخرى على موضع العلامة، ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حدّه أبوه. وكان عبد اللَّه بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته، وإذا حدث بهذا الحديث غضب. مات حتف أنفه بشعب رضوي. عبد اللَّه بن حازم السلمي رضي الله عنه، والي خرسان، شجيع مضر وفارسها في عصره، قتله وكيع بن أبي سويد بخراسان في الفتنة. وكيع بن أبي سويد قاتل عبد اللَّه بن حازم المتقدم ذكره، شجاع فاتك أهوج والي خراسان، قيل لما قتل عبد اللَّه بن حازم، ولم يتم أمره لهوجه فمات حتف أنفه. مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد، جاد بماله وبنفسه، قتله عبيد اللَّه بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان. عمير بن الحباب السلمي، فارس الإسلام، قتله بنو تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس. مسلمة بن عبد الملك بن مروان، فَحْلُ بني أمية وفارسها ووالي حروبها، قيل إنه جلس يوماً ليقضي بين الناس بمصر فكلمته امرأة، فلم يقبل عليها، فقالت: ما رأيت أقل حياء من هذا قط. فكشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات. فقال لها: أترين أثر هذا الطعن؟ والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن، وما منعني من تأخيرها إلا الحياء، وأنت تنحليني قلته. المعتصم بطل شجاع، فارس صنديد، لم يكن في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلباً. قال ابن أبي داود: كان المعتصم يقول لي: يا أبا عبد اللَّه عض على ساعدي بأكثر قوتك. فأقول: والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك. فيقول: إنه لا يضرني فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة، فكيف تعمل فيه الأسنان. ويقال إنه طعنه بعض الخوارج وعليه درع، فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين، وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها، ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقاً في العنق. إبراهيم بن الأشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين، حارب عبيد اللَّه بن زياد وهو في أربعة آلاف، وعبيد اللَّه في سبعين ألفاً فظفر به، وقتله بيده، وهزم جيشه. عبد اللَّه بن الحر الجعفي، شجاع، شاعر فاتك، له وقائع عظيمة هائلة، وأخباره

في الشجاعة مشهورة. جحدر بن ربيعة العكلي كان بطلاً شجاعاً فاتكاً مغيراً، شاعراً، قهر أهل اليمامة، وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه، ويأمره بالتجرد له حتى يقتله، أو يحمله إليه أسيراً. فوجه العامل إليه فتية من بني حنظلة، وجعل لهم جعلاً عظيماً أن هم قتلوا جحدراً أو أتوا به أسيراً، فتوجه الفيتة في طلبه، حتى إذا كانوا قريباً منه، أرسلوا يقولون له، إنهم يريدون الانقطاع إليه، والارتفاق به، فوثق بذلك منهم، وسكن إلى قولهم، فبينما هو معهم يوماً، إذ وثبوا عليه فشدوه وثاقاً، وقدموا به على العامل فوجه به إلى الحجاج معهم، فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له: أنت جحدر. قال: نعم أصلح الله الأمير. قال: ما جرأك على ما بلغني عنك؟ قال: أصلح الله الأمير، كلب الزمان، وجفوة السلطان، وجرأة الجبان. قال: وما بلغ من أمرك؟ قال: لو ابتلاني الأمير، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه. قال: فتعجب الحجاج من ثبات عقله، ومنطقه، ثم قال: يا جحدر إني قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فإن قتلك كفانا مؤنتك، وإن قتلته عفونا عنك. قال: أصلح الله الأمير قرب الفرج إن شاء الله تعالى. فأمر به فصفدوه بالحديد، ثم كتب إلى عامله أن يرتاد له أسداً ويحمله إليه. فتحيل العامل وارتاد له أسداً كان كاسراً خبيثاً قد أفنى عامة المواشي، فتحيلوا حت أخذوه وصيروه في تابوت وسحبوه على عجل. فلما قدموا به على الحجاج أمر به، فألقي في الحاجر ولم يطعم شيئاً ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب، ثم أمر بجحدر أن ينزلوه إليه فأعطوه سيفاً وأنزلوه إليه مقيداً وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بجحدر. فلما نظر الأسد إلى جحدر نهض، ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال، وارتاعت أهل الأرض، فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول:

ليـــث وليـــث فـــي مجـــال ضنـــكِ كـــــلاهمـــــا ذو قـــــوَّةٍ وسَفْـــــكِ
وصـــــولـــــةٍ وبطشـــــةٍ وفتـــــكِ أن يكشـــــفَ الله قنـــــاعَ الشـــــكِّ
فـــأنـــتَ لـــي فـــي قبضتـــي وملكـــي

ثم دنا منه، وضربه بسيفه، ففلق هامته[1]، فكبّر الناس. وأعجب الحجاج ذلك، وقال: لله درك ما أنجبك. ثم أمر به فأخرج من الحاجر، وفك عنه قيوده، وقال له: اختر إمّا أن تقيم معنا فنكرمك، ونقرّب منزلتك، وإما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك، على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثاً، ولا تؤذي بها أحداً. قال: بل اختار صحبتك أيها الأمير، فجعله من سماره وخواصه، ثم لم يلبث أن ولاه على اليمامة، وكان من أمره ما كان. المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان، ومن الأبطال المعدودة، وأولاده كلهم أنجاد أبطال، إلا أن المغيرة من بينهم، كان أشد تمكناً، وكان المهلب يقول: ما شهد معي حرباً، إلا رأيت البشرى في وجهه، وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة، فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج، وحمل من تحتها فبراها بسيفه، وكان المهلب يقول: أشجع الناس ثلاثة: ابن الكلبية، واحمر قريش، وراكب البغلة، فابن الكلبية، مصعب بن الزبير. وأحمر قريش عمر بن عبيد اللّه بن معمر. ما لقي خيلاً قط إلا فرقها. وراكب البغلة عباد بن الحصين. ما كان قط في كربة إلا فرجها، وهو من فرسان الإسلام، وكان للمهلب في الحروب مكايد مشهورة، ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين، وكان سيداً كريماً، مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم:

---

(١) الهامة: الرأس.

مـات المغـيـرة بـعـد طـول تـعـرض لـلـقـتـل بـيـن أسـنـة وصـفـائـح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة، لا تثبت لهم الرجال، وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه. فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين. وشبيب الخارجي الذي غرق في الفرات، نذرت امرأته غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين، تقرأ في الأولى البقرة، وفي الثانية آل عمران، فعبر بها جسر الفرات، وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها، والحجاج في الكوفة في خمسين ألفاً. ومنهم قطري بن الفجاءة، كان رأس الخوارج، وخاطبوه بأمير المؤمنين، وعظموه وبجلوه، وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها. قتل في بعض وقائع الخوارج.

الطبقة الثالثة: معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدي. الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد. عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيد فتتبع حمار وحش، وما زال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه، وصار على ظهر حمار الوحش، وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله. أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، فارس بطل شاعر، نديم، جامع لما تفرق في غيره، طعن فارسين رديفين فأنفذ الرمح من ظهريهما، وحمل برمحه أربعة نفر، وفيه يقول بكر بن النطاح:

قـالـوا وينظُـمُ فـارسَيْـن بطعنـةٍ يـومَ اللقـاءِ ولا يـراهُ جليـلا
لا تعجَبُـوا لـو كـان مَـدُّ قنـاتِـهِ ميـلاً إذا نظـمَ الفـوارسَ ميـلا

وسأله يوماً رجل شيئاً. فقال له: أتسأل وجدك القائل:

ومَـنْ يفتقِـرْ منـا يَعِـشْ بحسـامِـهِ ومـن يفتَقِـرْ مـن سـائـر النـاس يسـألِ
وإنّـا لنلهـو بـالسيـوفِ كمـا لهـت فتـاةٌ بعقـدٍ أو سِخـابِ قـرنفـلِ[1]

فخرج الرجل، فجرد سيفه، فلم يصادفه في طريقه إلا وكيل لأبي دلف ومعه مال جزيل، فاستلبه منه وقتله، فبلغ الخبر أبا دلف فقال: دعوه فإني علمته على نفسي. بكر بن النطاح بطل شجاع، فارس فاتك، له أشعار مشهورة، وأخبار مذكورة.

ومما جاء في مدح السيف قال رسول الله ﷺ: الخير في السيف، والخير بالسيف، وكان صمصام[2] عمرو، أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال:

أخٌ مـاجـدٌ مـا خـانـنـي يـومَ مشهـدٍ كمـا سيـفُ عمـرو لـم تَخُنْـهُ مضـاربُـه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن قال:

خليلـيَّ لـم أخُنْـهُ ولـم يخنـي إذا مـا صـابَ أوسـاطَ العظـامِ
خليلـي لـم أهبـه مـن قـلاهُ ولكـنَّ المـواهـبَ للكـرامِ

(١) سخاب قرنفل: عِقد من القرنفل.
(٢) صمصام: سيفه.

حبوتُ به كريماً من قريشٍ فسرّ بهِ وصِينَ عن اللئامِ
وودعت الصفيَّ[1] صفيَّ نفسي على الصمصام أضعافَ السلامِ

ولم يزل في آل سعيد، حتى اشتراه خالد بن عبد اللَّه القسري بمال جزيل لهشام، وكان قد كتب إليه فيه. فلم يزل عند بني مروان، ثم طلبه السفاح، والمنصور والمهدي فلم يجدوه، فجدّ[2] الهادي في طلبه حتى ظفر به وكان مكتوباً عليه هذا البيت:

ذكرٌ على ذكرٌ يصولُ بصارمٍ ذكر يمانٍ في يمين يماني

وقال ابن الرومي:

لم أرَ شيئاً حاضراً نفعُهُ للمرءِ كالدرهمِ والسَّيْفِ
يقضي له الدرهمُ حاجاتِهِ والسيف يحميه من الحَيْفِ[3]

وقال زيد بن علي رضي الله عنهما:

السيفُ يعرف عزمي عند هزَّتِهِ والرمحُ بي خبرٌ والله لي وزرُ[4]
إنَّا لنأملُ ما كانت أوائلنا من قبل تأمّلِهِ إن ساعَدَ القدرُ

وقال عبد اللَّه بن طاهر:

يبيتُ ضجيعي السيفُ طوراً وتارة تعضُّ بهامات[5] الرجال مضاربُهْ
أخو ثقةٍ أرضاه في الروع صاحباً وفوقَ رضاه أنني أنا صاحبه
وليس أخو العلياءِ إلا فتى له بها كلفٌ ما تستقرُّ ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد اللَّه فطلب منه سيف الزبير وقال له: رده عليّ، فإنه السيف الذي أعطاه رسول الله ﷺ له يوم حنين. فقال له عبد الملك: أو تعرفه؟ قال: نعم. قال: بماذا؟ قال: أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك، أعرفه بقول الشاعر[6]:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

وقال الأجدع الهمداني:

لقد علمَتْ نسوانُ همدانَ أنني لهنَّ غداةَ الروعِ غيرُ خذولِ
وأبذلُ في الهيجاءِ وجهي وإنني له في سوى الهيجاءِ غيرُ بذولِ[7]

---

(١) الصفيّ: الخليل ذو الصفاء.
(٢) جدّ: اجتهد.
(٣) الحيف: الجور.
(٤) وزرُ: مؤازر ومعين.
(٥) بهامات: رؤوسهم.
(٦) النابغة الذبياني في الغساسنة.
(٧) بذول: أي صائنه.

وقال آخر:

عشرونَ ألفَ فتى ما منهمُ أحدٌ إلا كألفِ فتى مقدامه بطل
راحَتْ مزاودُهُم مملوءةً أملاً ففرغوها وأوكوها من الأجل

ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغوفاً بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها، فبينما أن أدور في بعض أحيائهم إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذة بيد غلام قلّما رأيت مثله في حسنه وجماله، له ذؤابتان كالسبج[1] المنظوم، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تحن إليه الأسماع، وترتاح له القلوب، وأكثر ما أسمع منها: أي بني وهو يتبسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والخجل، كأنه جارية بكر لا يرد جواباً. فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت، فدنوت منه، وسلمت فرد عليّ السلام، فوقفت أنظر إليهما. فقالت: يا حضريّ ما حاجتك، فقلت: الاستكثار مما أسمع، والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام. فقالت: يا حضريّ إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من منظره. فقلت: قد شئت يرحمك الله. فقالت: حملته والرزق عسر، والعيش نكد، حملاً خفيفاً حتى مضت له تسعة أشهر، وشاء الله عز وأجل أن أضعه، فوضعته خلقاً سوياً، فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه، حتى أفضل الله عز وجل وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى أغنى، ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه فربيَ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء، وحر الهجير. حتى إذا مضت له خمس سنين، أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده. فلما أن بلغ الحلم، واشتد عظمه، وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس، وتمرس ولبس السلاح، ومشى بين بويتات الحي الخيلاء. فأخذ في قرى الضيف، وإطعام الطعام، وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه. فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب، فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم، وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج، حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره، ونحن آمنون وادعون إلى أن أدبر الليل، وأسفر الصباح، حتى طلعت علينا غرر الجياد، وطلائع العدو، فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها، هو يسألني عن الصوت، وأنا أستر عنه الخبر اشفاقاً عليه، وضناً به إذ علت الأصوات وبرزت المخدرات، رمى دثاره، وثار كما يثور الأسد، وأمر بإسراج فرسه، ولبس لامة حربه، وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم، فطعن أدناهم منه فرمى به، ولحق أبعدهم منه فقتله، فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبياً صغيراً، لا مدد وراءه. فحملوا عليه فأقبل يؤم البيت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة، حتى إذا مدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم، وشتت جمعهم، وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق، ومرق كما يمرق السهم، وناداهم: خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به، أو لأهكلن دونه. فانصرفت إليه الأقران، وتمايلت نحوه الفرسان، وتميزت له الفتيان وحملوا عليه قد رفعوا إليه الأسنة وعطفوا عليه بالأعنة. فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الأبل. وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها، ولا كتيبة إلا مزقها، حتى لم يبق من القوم إلا مَنْ نجا به فرسه ثم ساق المال، وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته، وفرح الناس بسلامته، فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً، وأحسن رواحاً[2] من ذلك اليوم، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحي هذه الأبيات:

---

(١) السبج: الخرز.
(٢) رواحاً: مساءاً.

تـأمَّلْـنَ فِعْلـي هـل رأيتُـنَّ مثلَـه ... إذا حشرجت نفسُ الجبانِ من الكربِ
وضـاقَـتْ عليـه الأرضُ حتـى كـأنَّـه ... مـن الخـوفِ مسلـوبُ العـزيمـةِ والقلـبِ
ألـم أعـطِ كـلاً حقَّـهُ ونصيبَـهُ ... من السمهريِّ[1] اللدنِ والمرهفِ العَضْبِ
أنـا ابـنُ هنـدِ بـن قيـسِ بـن مـالـكٍ ... سليـلُ المعـالـي والمكـارمِ والسيـبِ
أبـى لـي أن أُعطـيَ الظـلامـةَ مـرهـفٌ ... وطـرفٌ قـويُّ الظهـرِ والجـوفِ والجنـب
وعـزمٌ صحيـحٌ لـو ضـرَبْـتُ بحـدِّه الـ ... جبـالَ الـرواسـي لانحَطَطْـنَ إلـى التـرب
وعـرضٌ نقـيٌّ أتَّقـي أن أعيبَـهُ ... وبيـتٌ شـريـفٌ في ذرى ثعلب الغلـب
فـإن لـم أقـاتـل دونكَـنَّ وأحتمـي ... لكـن وأحميكُـنَّ بـالطعـنِ والضـرب
فـلا صَـدَقَ الـلاتـي مَشَيْـنَ إلـى أبـي ... يهنينـه بـالفـارسِ البطـلِ النـدب

وقال الشاعر:

آراؤهـم ووجـوهُهـم وسيـوفُهـم ... فـي الحـادثـاتِ إذا دجَـوْنَ نجـومُ[2]
منهـا معـالـمُ للهُـدَى ومصـابـحُ ... تجلـو الـدُّجـى والأخـريـاتُ رجـومُ[3]

وقال آخر:

فـوارسُ قـوَّالـونَ للخيـل اقـدِمـي ... وليـس علـى غيـر الـرؤوسِ مجـالُ
بـأيـديهـم سمـرُ العـوالـي كـأنَّمـا ... تشـبُّ علـى أطـرافِهِـنَّ ذبـالُ[4]

وقال آخر:

قـوم إذا اقتحمُـوا العجـاجَ رأيتهـم ... شمسـاً وخلـت وجـوهَهُـم أقمـاراً
لا يعـدلـونَ بـرِفْـدِهـم عـن سـائـلٍ ... عَـدَلَ الـزمـانُ عليهـم أو جـارا
وإذا الصَّـريـخ دعـاهـم لملمَّـةٍ ... بـذلـوا النفـوسَ وفـارقـوا الأعمـارا

ذكر الجبن، والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم: قد استعاذ سيدنا رسول الله ﷺ من الجبن فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال». نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله ﷺ. ويكفيك أن يقال في وصف الجبان: إن أحس بعصفور طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهاده، يفزع من صرير الباب، ويقلق من طنين الذئاب، ان نظرت إليه شزراً أغمي عليه شهراً، يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر:

إذا صـوَّت العصفـورُ طـار فـؤادُهُ ... وليـثٌ حـديـدُ النـابِ عنـد الثـرائـدِ

---

(١) السمهريُّ: نوع من السيوف.
(٢) دجت الحادثات: أظلمت.
(٣) رجوم: صخور للرجم.
(٤) ذبالُ: فتائل مشتعلة.

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء. روي عن ابن الزبير أنه قال: كان حسان في قاع أطم مع النساء يوم الخندق، فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن. فقالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن، وأني والله ما آمنه أن يدلَّ على عوراتنا مَنْ وراءه من اليهود. فأنزل إليه واقتله. فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قال: فاعتجرت صفية ثم أخذت عموداً ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت إلى الحصن. فقالت: يا حسان قم إليه فاسلبه فإنه ما يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. فقال: ما لي بسلبه من حاجة.

وقيل: كان لفتى من قريش، جارية مليحة الوجه، حسنة الأدب، وكان يحبها حباً شديداً فأصابته إضاقة وفاقة، واحتاج إلى ثمنها فحملها إلى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريباً منه. وأحسن إليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه، وكان الفتى جميلاً فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له، فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس[1] فأصبح لا يدري أين هي. وبلغ الحجاج ذلك فأمر منادياً أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة، من صفتها كذا وكذا، ولم يحضرها. فلم يلبث أن أتي له بها. فقال لها الحجاج: يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس إليّ، واخترت لك ابن عمي شاباً حسن الوجه، ورأريتك تسارقينه النظر فعلمت أنك شغفت به فوهبتك له، فهربت من بليتك. فقالت: يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت. قال: هاتي ولا تخفي شيئاً. قالت: كنت للفتى القرشي واحتاج إلى ثمني فحملني إلى الكوفة، فلما قربنا منها دنا مني فوقع عليّ فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه. ثم أقبل عليّ وما برّد ما عنده، ثم قضى حاجته. وإن ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام إليّ، فلما علا بطني وقعت فارة من السقف، فضرط ثم غشي عليه. فمكث زماناً طويلاً وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق. فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعاً منك، فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك، وقال: ويحك اكتمي هذا، ولا تعلمي به أحداً. قالت: على أن لا تردني إليه، قال: لك ذلك. . .

وحدّث جار لأبي حنيفة النميري قال: كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق، وكان يسميه لعاب المنية، فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه[2] وهو واقف على باب بيته، وقد سمع حساً في داره وهو يقول: أيها المغتر بنا، المجترىء علينا بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية، الذي سمعت به، فاخرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. ثم فتح الباب على وجل فإذا كلب قد خرج فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاناً حرباً. وخرج المعتصم يوماً إلى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه: أفيك خير يا رجل؟ قال: لا. فضحك المعتصم، وقال: قبح الله الجبان. ورأى الاسكندر سميًّا له، لا يزال ينهزم. فقال له: يا رجل إما أن تغيّر فعلك وأما أن تغيّر اسمك. ووقع في بعض العساكر ضجة فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها، فصير اللجام في الذنب من الدهش. وقال يخاطب الفرس: هب جبهتك عرضت لناصيتك كيف طالت.

---

١) بغلس: ظلمة آخر الليل.
٢) انتضاه: استله كهيئة المبارز.

وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلاً فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك، وذمه ابن أبي زياد فقال: لأن يذمني ابن أبي زياد حيًّا أحبّ إليّ من أن يمدحني ميتاً. وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومرَّ بصبيان صاحوا به: أبو بلال وراك. فكبر ذلك عليه، فشكاهم إلى ابن زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه. وفي ذلك يقول بعضهم شعراً:

يقولُ جبانُ القومِ في حالِ سكرِهِ ... وقد شربَ الصهباءَ[1] هل من مبارزِ
وأين الخيولُ الأعوجيات[2] في الوغى ... أنازلُ منهم كلَّ منـاهزِ
ففي السكر قيس، وابن معدي وعامرٍ ... وفي الصحو تلقَاهُ كبعضِ العجائزِ

هذا ما انتهى إلينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الصهباء: الخمر.
(٢) الأعوجيات: فرُسٌ أصلية.

obeikandl.com